الفصل الحادى عشر

الوحـدة الايطاليـة

كانت أيطاليا فى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر عبـار
سطلاح جغرافى لا يرتبط بأى كيان او وحدة سياسية، فقد كانت مقسمة إلى عـشر و
جت من تفكك الامبراطورية الرومانية فى القرون الوسطى، وكان معظم الولايات فى
ى الوسط فى قبضة النمسا أما فى الجنوب فقد كانت ولاية نابلى وصقلية تدخل فـى
لايات المستقلة، وقد خضعت جميع هذه الولايات لنظام استبدادى يعتمد على تسلسل
جتماعية.

ولقد كانت هناك عدة معوقات تحول دون قيام وحدة ايطاليا وأهـم هـذه المع
ن:-

- وقوف البابوات فى روما كالعقبة الكأداء التى تعوق قيام مثل هذه الوحدة وبخاصـة
كانوا يرون فى ذلك تقليصا لنفوذهم الزمنى وحرمانا لهم من سلطانهم السياسى، ك
كانوا يستغلون فرصة هذا التفكك فى تثبيت نفوذهم، وقد شارك البابوية فى ذلـك
أمراء ايطاليا وحكامها حيث رأوا ان الاتحاد يفقدهم مالهم من نفوذ وسلطان.(١)
-الاختلافات الواضحة فى الجنس والعادات فى انحاء شبه الجزيرة الايطالية.
رغبة النمساويين فى الابقاء على تبعية فينا عام ١٨١٥ والتى وقعتها فى

الاستئثار بها دون المدن الأخرى، وان قيام الوحدة قد يحول دون الاستئثار بهذه الثروات.

وظل الحال على هذا المنوال حتى جاء بونابرت بحملته على ايطاليا اثناء تولى حكومة الادارة زمام الأمور فى فرنسا وأرسل نداءه المشهور للايطاليين بان حملته جاءت لتحطيم هذه الأغلال.

ونتيجة لانتصارات بونابرت الحاسمة على النمساويين فى ايطاليا اعترفت النمسا فى صلح " كامبو فورميو" بقيام جمهورية شمال ايطاليا التى اطلق عليها جمهورية الألب الشمالية، كما نجح بونابرت فى كسر قوة الجيش البابوى وأجبره على التنازل عن بعض الولايات البابوية.

وهكذا نجح بونابرت فى ايقاظ الشعور القومى لدى الايطاليين، وان لم يكن رحيما معهم طول الوقت فمع انه صادر كل ما وقع تحت ايدى جنوده، ووضع يده على اموال المصارف، وهدم الاراضية الاجتماعية والثروة فى ايطاليا فان حررهم عن الحكم النمساوى لبلادهم، كما دعاهم إلى اقامة دولتهم العصرية، وظهر بينهم فى صورة مجدد الأمانى فى بعث الوحدة الايطالية، والراغب فى ايجاد امة فى ايطاليا.

وقد نهج نابليون فى ايطاليا مناهج متناقضة هدفها الأول ان تكون خاضعة لسيطرته، ومن هنا رغب فى تطبيق المبادئ التالية:-

١- تأسيس مملكة فى ايطاليا خاصة بشخصه اكثر من كونها مملكة فرنسية، على أن تشمل كل الولايات الايطالية.

٢- انشاء مملكة فى نابولى لاخيه "جوزيف بونابرت" واخرى فى طوسكانيا وتحكمها اخته "ليزا".

ومع أن هذه التغييرات فسحت المجال لبدء نظام جديد فانها لم تكون وحدة سياسية بل ادت إلى ضرب الحضارة الايطالية بشكل مؤثر.

ولكن ذلك لم يستمر طويلا فبعد رحيل بونابرت نجح النمساويون فى هدم ماشيده الفرنسيون وقمع حركات التمرد التى قامت ضدهم، ولما كان على الايطاليين التخلص من هذه المعوقات فقد اضطروا إلى تكوين الجمعيات السرية، كما بدأ يظهر من بينهم من يدافع عن

وحدة ايطاليا واستقلالها وكان ضمن هؤلاء ثلاثة من رجال ايطاليا، أحدهم ماتزينى روح هذه الحركة، وكان ثانيهم كافور مفكرها السياسى وعقلها المدبر، أما ثالثهم فهو غاريبالدى ساعدها القوى.

وفيما يلى سنوضح نشأة كل منهم ودوره فى اتمام الوحدة الايطالية:-

أولا: ماتزينى Mazzini

ولد ماتزينى فى مدينة جنوة فى عام ١٨٠٥ من اسرة برجوازية، فكان ابـوه طبيبـا مشهورا وامه من اسرة رفيعة الشأن، ودرس ماتزينى الحقوق فى جامعة جنوة، وحصل منها على الدكتوراه ثم اوقف نفسه لخدمة وطنه فانخرط فى العمل السياسى من اجل تحرير ووحدة ايطاليا، فكان من ابرز رواد هذه الحركة.

وقد أحسن ماتزينى بما يعانيه شعبه من فقر وشقاء، فأخذ يفكر فى الطريق التى تعيـد لابناء ايطاليا حقوقهم فى ظل حياة ديمقراطية سليمة، وعقد العزم على العمل من اجـل قيـام ايطاليا " حرة متحدة من الألب إلى المحيط" فانضم إلى جمعية " الكاربوناري"[١] التى تأسـست للعمل من اجل وحدة ايطاليا وبدأ يحرض الايطاليين على الصمود أمام النمساويين كما بدأ فى كتابة سلسلة من المقالات فى جريدة " دليل جنوة" وجريدة " دليل ليفورنه" مما أدى إلى غليان الافكار، وانتشار روح الثورة ضد النمساويين، ونتيجة ذلك قبض عليه بتهمة التآمر، والقى فى السجن لمدة ستة أشهر، ثم حكم عليه بمغادرة جنوة فذهب إلى مرسيليا ووضع تحت المراقبة، وخلال ذلك اخذ يفكر مليا فيما يحدث لبلاده، وساقه ذلك إلى التنبه إلى ضرورة الارتكاز على الشعب الذى هو عماد كل حرية قومية.

ومن أجل ذلك أسس جمعية " ايطاليا الفتاة" فى عام ١٨٣١ بهدف العمل على تحريـر ايطاليا من نير الحكم النمساوى واستقلالها ووحدتها، وقد استحوذت هذه الجمعية علـى افئـدة وعقول الشباب الايطالى، وقد استطاع ما تزينى عن طريق هذه الجمعية التى كانت لا تـضم رجالا سنهم دون الاربعين تولى زعامة الحركة القومية الثورية فى ايطاليا وأن يصل بتعاليمه

---

(١) هى جمعية الفحامين، وكان روحها مزيج من الصوفية المسيحية والاشتراكية. وقد قال احـد رجالهـا ان المسيح كان اول ضحايا الطغاة ونظرا لطابع هذه الجمعية السرى فقد تم تقـسيمها إلـى جماعـات ذات اختلافات متعددة فى المفاهيم السياسية.

إلى قلوب الناس وعقولهم حتى استجاب العديد منهم لمبادئه، وازداد عدد أعضاء الجمعية فى مدى عامين إلى ستين ألفا.

وقد نجحت الجمعية فى نشر المبادئ الحرة بين الشعب الايطالى بصورة نشطة، وفى اثارة الحماسة بين صفوفه واقناعه بأن الثورة العنيفة هى السبيل الوحيد لانقاذ ايطاليا وقد اثر عن مازينى قوله " ان الأفكار تنمو سراعا اذا ما روتها دماء الشهداء" كما أنه كان يعتقد أنه بامكان البشر تحسين أحوالهم إذا ما ساروا على هدى مثل عليا، وعلى هدى عقيدة تعلمهم الرغبة فى التضحية وكان متفائلا يثق بالنصر القريب لمثله الأعلى فى العدل والاصلاح ومن هنا كانت تأثيره عمقا فى الأخلاق الايطالية وفى نمو الوجدان القومى الايطالى ومن أجل ذلك ناشد الايطاليين السير على مبادئه لتوجيه ضربة قوية إلى الامبراطورية النمساوية التى كان وجودها فى ايطاليا عارا على الايطاليين ورمزا للجمود والسلبية، وإلى الحكم البابوى الذى طالما وقف حجر عثرة أمام وحدة ايطاليا.

وعلى كل حال فقد اكسبت اعمال القمع والوحشية التى اتبعها المستشار النمساوى "مترنيخ" الكثير من الانصار "لمانزينى" وجمعيته واشتعلت نفوس الناس حقدا وكراهية ضد النمساويين وسياسة "مترنيخ" وقد وضح الشاعر الانجليزى " روبرت براوننج" أحاسيس الشعب الايطالى تجاه النمسا ومستشارها بقوله على لسان أحد الايطاليين " إذا كان لى أن أحقق لنفسى رغبات ثلاث فإنى اعرف على الاقل منها واحدة فأرانى ممسكا بمترنيخ حتى أحس بالدماء تقطر حمراء من عنقه البليل بين يدى هاتين".

ولقد رأى مانزينى فى نهاية عام ١٨٤٧ ضرورة استثارة النمسا حتى يزداد تدخلها فى شئون ايطاليا مما يحفز همة الايطاليين على الثورة ضدها وقد شاءت الاقدار أن أنتخب فى تلك الفترة لمنصب البابوية "البابا بيوس التاسع" وهو من البابوات المشهود لهم بالوطنية وكراهيته لاساليب البوليس النمساوى واحكام الاعدام والنفى والسجن مما دفع الأمانى القومية لدى الايطاليين دفعة كبيرة إلى الأمام حيث راح الناس يستبشرون فى حماس شديد له، خصوصا وأنه أعلن العفو عن المسجونيين والمشبوهين والسياسيين[1] وخففت من قيود الصحافة كما عدل من طابع الحكومة الاستبدادى الكنسى غير أنه لم يكن يدرك ما تقتضيه متطلبات ايطاليا خاصة وأنه لم يكن ضليعا فى السياسة ولم يكن يدرك ما يحيط به من أخطار

---

[1] جرانت: المرجع السابق، ص ٣٢٥.

كما أنه لم يكن من طبيعته حب الثورة أو الميل إليها وأنما كانت نزعته هادئة كذلك فلا عجب من أن ينسحب هذا البابا من الميدان.

ونتيجة لأفكار ماتزينى حول الوحدة والاستقلال تهيأت أفكار الايطاليين للثورة ضد النمساويين وتشبع العديد منهم بمبادئ جمعية ايطاليا الفتاة، كما أصبح أفراد الطبقة الوسطى من المجتمع الايطالى يؤيدون قيام الوحدة وفى ١٢ يناير ١٨٤٨ أعلنت الثورة فى "بالرمو" حتى وافق حاكمها على اعلان الدستور، وعلى غرار ذلك تأثرت ايطاليا كلها بهذا النصر وتشجعت على اعلان الثورة ومع النجاح الذى تم فان مستقبل ايطاليا كله كان متوقفا على التخلص من الحكم النمساوى فى شمال شبه الجزيرة ولذلك كان مصير ايطاليا متوقفا على بيدمنت مركز مملكة سردينيا، وفى لمبارديا حيث كانت النمسا تتمتع بنفوذ كبير، وحيث كان السكان يتطلعون إلى التخلص من حكمها الجائر[١]

كما اتجهت الأنظار نحو شارل البرت Charles Albert ملك سردينيا الذى اقتربت افكاره من أفكار ماتزينى بصورة واضحة خاصة بعد أن ارسل له ماتزينى رسالة باسم الايطاليين يوضح له فيها مفهومه لايطاليا الحرة، ويناشده ان يصغى لصوت ايطاليا ويطالبه بأن يضع نفسه على رأس هذه الأمة وان يضع على العلم الايطالى كلمات اتحاد ، حرية، واستقلال وان يحمى ايطاليا من البرابرة. وقد أخذ الملك على عاتقه تخليص ايطاليا من الحكم النمساوى كما أنه منح شعبه دستورا فى ٨ فبراير ١٨٤٨م، وفى ميلان امتد تيار الثورة وحدثت اشتباكات بين المتظاهرين والجنود النمساويين انتهت بانتصار الثوار وطرد النمساويين فى ميلان وامتد اثر ذلك إلى " بارما" و " مودينا" فسقط فيها الحكم النمساوى كما قامت أعنف الثورات على النمسا فى البندقية مما أدى إلى اشتداد غضب النمسا ورغبتها فى الانتقام من الثوار واخضاعهم ولما كان من المتعذر على أهالى "ميلان" و"البندقية" و"لمبارديا" مواجهة النمساويين بمفردهم فقد اتجهت أنظارهم إلى شارل البرت الذى استجاب لندائهم ولكن تفوق القوات النمساوية كان واضحا حيث أن القوات الايطالية لم تكن كاملة التنظيم أو جاهزة

---

[١] زينب راشد: تاريخ أوربا فى القرن التاسع عشر، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

للمعركة كما أن الخلاف انتشر فى صفوف الايطاليين واشتد الصراع بين الملكيين والجمهوريين، وقصد ماتزينى إلى ميلان بغرض توجيه الحركة لصالح الجمهورية كل هذا أدى إلى هزيمة الايطاليين ودخول القوات النمساوية إلى ميلان والقضاء على حركتهم، كما أن الملك شارل أعلن عن تنازله عن العرش لابنه فيكتور عما نويل الثانى ومع ذلك فان تيار الثورة امتد إلى روما والبندقية، ففى روما انتشرت الفوضى بعد فرار البابا منها، وانتهى الأمر بقيام الجمهورية على يد الحزب الجمهورى الذى تزعمه "ماتزينى"، ولكن كان واضحا أن هذه الجمهورية لم تعمر طويلا حيث أن فرنسا ناصرت البابا وأرسلت جيشا استطاع القضاء على مركز الجمهوريين فى أوربا واعادة البابا إلىمركزه.

أما فى البندقية فقد اقيم فيها حكم جمهورى وظلت تقاوم النمسا حتى هزمت هزيمة فادحة عادت إلى أثرها إلى الحكم النمساوى من جديد.[١]

ثانيا: كافور Cavour ١٨١٠ – ١٨٦١:

ولد كافور فى منطقة تورينو من عائلة ارستقراطية كانت تمتلك الأراضى، والتحق على عادة أبناء العائلات بالمدارس العسكرية، وعمل فى الجيش برتبة ضابط ثم هجره لادارة مزارعه ولاشباع رغبته فى التنقل والاسفار فسافر إلى فرنسا وبريطانيا ودرس أصول الحياة السياسية هناك، وتعرف على بعض كبار الساسة ودعاة النظم البرلمانية مما اكسبه النضج السياسى والعديد من الخبرات والتجارب التى أهلته لتحمل مسئوليات الحكم فى بلاده، وجعلته من أبرز ساسة القرن التاسع عشر.

وعن دوره فى الوحدة الايطالية فقد شعر كافور منذ صباه بأن السبب فى محنة ايطاليا هو تقسيمها ونتيجة لذلك رأى أن بعث بلاده.لا يتم الا بوحدتها وأنه من الصعب تحقيق هذه الوحدة، واخراج بلاده من الوحل دون الاستعانة بقوة خارجية لذلك رأى وجوب الاستعانة بفرنسا لطرد النمسا من ايطاليا، وكانت هذه هى النقطة الاساسية فى سياسته فى سبيل توحيد ايطاليا وفى تلك الفترة أظهر "فيكتور عمانويل" عزما أكيدا على تحرير ايطاليا وتخلصها من

---

(١) نفسه، ص ٣٤٤-٣٤٦.

الحكم النمساوى ولاشك أن اسم "كافور" و"فيكتور عمانويل" سيبقيان خالدين كرمز للكفاح فى سبيل الوحدة الايطالية.

لقد عمل كافور منذ أن وصل إلى كرسى الحكم فى "بيدمنت" على تشييد البنيان الداخلى لبلاده وبث روح الحرية فيها حتى تصبح نموذجا لغيرها من الولايات، وعمل على تنظيم الاقتصاد والأمور العامة، كما عمل على الحد من امتيازات الكنيسة فقام بتخفيض ايرادات الأوقاف الكنسية والدخل الكبير لكبار رجال الكنيسة واغلاق اكثر من ثلثمائه دير، وحد من سيطرة الكنيسة عن شئون التعليم كما أقر برلمان تورين التشريع الخاص بالزواج المدنى رغم معارضة الفاتيكان وإلى جانب ذلك اهتمت حكومة كافور بالسكك الحديدية والعناية بالجيش والاسطول وتدريبه على احدث النظم حتى يستطيع مواجهة النمساويين فى الوقت المناسب كما اشتهر كافور بأرائه الديمقراطية واخلاصه لقضية ايطاليا، وكان هو وماتزينى يتحدان فى الهدف وهو تحرير ايطاليا ووحدتها الا أنهما اختلفا فى كثير من الأمور فقد كان " كافور" عمليا فى سياسته فأدرك أن ايطاليا لن تستطيع وحدها الوصول إلى هدفها بدون مساعدة دولة أخرى، وأنها لو تولت أمرها بنفسها فلن تبلغ هدفها المنشود كما كان يرى أن الحماسة وحدها ليست كفيلة بتحقيق الهدف بينما كان "ماتزينى" يرى عكس ذلك.

سعى كافور إلى عقد محالفة مع فرنسا وبريطانيا لاكتساب عطف الرأى العام فيها على قضية بلاده، ولما كان يعلم بعطف نابليون الثالث على قضايا ايطاليا القومية، وان فرنسا كانت واحة الأمل الذى يمكن الاعتماد على تأييدها فقد تودد إليه ثم قابل كافور الامبراطور الفرنسى فى " بلومبير Plombieres "بشرق فرنسا عام ١٨٥٨ ونجح فى الحصول على تعهد منه بمساعدة سردينيا فى حربها ضد النمسا على شرط أن تبدأ النمسا بالعدوان، نظير أن يعطى كافور لفرنسا "سافوى" و"نيس" من أملاك "بيدمنت" عند نجاحها فى الحرب.

وإلى جانب ذلك عمل كافور على طرح القضية الايطالية على بساط البحث بين الدول الكبرى، كما عمل على لفت أنظار العالم إلى مشكلات بلاده ليحصل على التأييد المطلوب مستغلا فى ذلك انعقاد أى مؤتمر دولى لعرض قضية بلاده عليه وقد نجح فى ذلك إلى حد ما، وعلى الرغم من أن الرأى العام البريطانى تعاطف مع القضية الايطالية وأعلن عن رغبته فى تحرير ايطاليا من الحكم النمساوى، فان كافور لم يستطع الحصول على عون الحكومة

الانجليزية التى كانت تعمل على ان يكون الخط الرئيسى فى سياستها الخارجية هو المحافظة على استمرار السلام والاستقرار فى أوربا.

وإلى جانب ذلك فان روسيا لم تنظر إلى القضية الايطالية الا من خلال مصالحها التى كانت تتمثل فى التمسك بمقررات مؤتمر فينا لأنها أفضل السبل للمحافظة على الأوضاع فى أوربا من وجهة نظرها.

ونتيجة لذلك لم يجد كافور مساندة من الدول الكبرى سوى من فرنسا ونظرا لأن فرنسا اشترطت لتدخلها ظهور النمسا بمظهر المعتدى حتى تستطيع أن تبرر موقفها امام الدول الأوربية فقد حاول كافور استفزاز النمسا وذلك باثارة القلاقل على مناطق الحدود معها كما أوحى إلى الصحف أن تشن حملة على الحكومة النمساوية حتى يثير غضبها فتضطر إلى استعمال القوة، وتتمكن فرنسا من الوفاء بوعدها بالتدخل بحجة الدفاع عن صديقتها سردينيا.

ولما وجهت النمسا انذارا إلى سردينيا يقضى بتسريح جيشها ونزع سلاحه فىمدة لا تزيد عن ثلاثة أيام رفض كافور الانذار مما أدى إلى اعلان النمسا الحرب رسميا على ايطاليا فى ٢٦ من ابريل ١٨٥٩م، وتقدم قواتها نحو سهول ايطاليا الشمالية، ولم تتردد فرنسا فى مساعدة حليفتها سردينيا فأرسلت جيشا مكونا من ١١٥ الف جندى، نجح فى هزيمة النمساويين فى معركتى "ماجنتا" Magenta فى ٤ يونيو، وسولفرينو Solferino فى ٢٤ يونيو ١٨٥٩ وطردهم من لمبادريا مما ساعد على انفتاح الطريق أمام البندقية، ولما انكشف ضعف النمسا، وعدم مقدرتها على خوض الحرب أنهى نابليون الثالث الحرب فجأة والتقى مع امبراطور النمسا فى فلافرانكا Villafranca واتفق معه على عقد الهدنة دون استشارة بيدمنت واشترط تنازل النمسا عن مقاطعة "لمبارديا" لمملكة سردينيا على ان تحتفظ لنفسها بالبندقية وقد عرف هذا الصلح بصلح زيورخ ١٨٥٩ وهكذا طعن الامبراطور الفرنسى الايطاليين فى آمالهم وتخلى عنهم فى وقت كانوا فى أشد الحاجة إليه مما جعل الايطاليين يتهمونه بالخيانة، وقد رأى كافور ضرورة الاستمرار فى القتال بدون فرنسا، ولكن ملك سردينيا رفض هذه الفكرة مما اضطر كافور إلى الاستقالة بعد أن تبخرت آماله فى تربع عرش ملك سردينيا على عرش يشمل شمال ايطاليا كله.

والسؤال المطروح هو لماذا طعن "نابليون الثالث" الايطاليين فى آمالهم وتوقف فجأة عن القتال بالرغم من انتصارات قواته المتلاحقة؟

الواقع أن المؤرخين يختلفون فى سبب ذلك فيرجح بعضهم هذا الأمر إلى الظروف الدولية، ويرجح بعضهم السبب إلى ان ابتعاد خطوط مواصلات الجنود الفرنسيين عن بلادهم هو الذى دفع نابليون الثالث إلى ايقاف الحرب، ويرى بعض ثالث ان كثرة عدد القتلى فى المعارك هو الذى جعل الامبراطور الفرنسى يأمر بايقاف القتال تاركا اعداءه يتراجعون دون الاجهاز عليهم ويقوم بتوقع الهدنة مع الامبراطور النمساوى وهناك رأى آخر وهو الذى نعتبره أقرب إلى الواقع وهو أن الامبراطور الفرنسى رأى فى استكمال ايطاليا لوحدتها خطرا على البابوية وتهديدا لسلطانها وهو الأمر الذى رفضه نابليون الثالث.

وعلى كل حال فمهما يكن من شئ ينسب إلى تخلى نابليون عن الايطاليين فان مساهمته فى تحرير لمبارديا وضمها إلى مملكة بيدمنت انما كان خطوة هامة فى سبيل وصول ايطاليا إلى تحقيق وحدتها خصوصا وان الامارات الشمالية الصغرى من وسط ايطاليا أعلنت عن رفضها لصلح زيورخ ونيتها للانضمام إلى مملكة "بيدمنت"، كما أن بعض الولايات الأخرى اجتاحتها موجة من الحماس، وأعربت عن رغبتها فى الانضمام إلى مملكة بيدمنت، ومع أن هذه المحاولات قد أثارت سخط النمسا، فقد حاول "كافور" وهو خارج الحكم الحصول على تأييد انجلترا الدبلوماسى باتحاد بعض الامارات مع بيدمنت وقد نجح فى ذلك حيث أصدرت الحكومة الانجليزية العديد من التصريحات التى تدعو إلى ترك الحرية للايطاليين لتقرير مصيرهم كما أن فرنسا لم تمانع فى انضمام امارات وسط ايطاليا إلى "بيدمنت" بشرط استفتاء الاهالى فيما إذا كانوا يرغبون فى تحقيق وحدتهم مع "بيدمنت"، وفى ذلك الوقت عاد "كافور" إلى رئاسة الوزارة فى "بيدمنت"، واجريت عملية الاستفتاء التى اقترحتها فرنسا كشرط لموافقتها على انضمام ولايات وسط ايطاليا إلى "بيدمنت"، واسفرت عن رغبة أهالى هذه الولايات فى الانضمام إلى "بيدمنت".

ولم تتوقف مساعى كافور فى سبيل تحرير ايطاليا كلها من نفوذ النمسا والحصول على تأييد نابليون الثالث فى ضم صقلية وجنوب ايطاليا إلى بلاده، وواتته الفرصة عندما قام الثائرون فى هذه المناطق بدعوة "غاريبالدى" وجماعة ايطاليا الفتاة لمساندتهم فنزلت قواته من نوى القمصان الحمراء فى مايو ١٨٦٠ إلى صقلية واقاموا فيها حكومة مؤقتة انضم إليها الأهالى كما عبرت هذه القوات مضيق "مسينا"، واستولت على "نابولى"، ووضعت العالم أمام الأمر الواقع، ونتيجة لتوتر العلاقات بين نابليون الثالث وبابا روما فكر الامبراطور الفرنسى

فى سحب الحامية الفرنسية من روما ولكن البابا عارض هذه الفكرة بحجة حاجته الشديدة إلى تلك القوات ثم اضطر فى النهاية إلى الموافقة.[١]

ثالثا: غاريبالدى Garibaldy

كان "غاريبالدى" أحد أعضاء جمعية ايطاليا الفتاة البارزين وكان زعيما حماسيا، وقائدا للجند غير النظاميين، كون جماعة القمصان الحمر، واشتهر بتطرفه فى وطنيته وتعصبه القومى ومناوأة الكاثوليكية ورغبته فى أن يجعل من بلاده جمهورية مستقلة وقد عاد إلى ايطاليا هو واتباعه بعد حياة النفى المليئة بالمخاطر فى أمريكا الجنوبية، وقد بشر بانجيل جديد وهو عبارة عن نسخة من افكار روسو فى التبشير، وانشأ عوضا عن " صدقة القديس بطرس"،"صدقة الحرية" وكان يجمع الصدقات ليشترى بها اسلحة تساعده على القيام بحملة عسكرية على روما.

ويرجع إليه الفضل فى الاستيلاء على صقلية بعد أن اتصل به "كرسبى" أحد الجمهوريين بصقلية وطلب منه المعاونة فى ضمها إلى مملكة سردينيا. كما يرجع إليه الفضل أيضا فى الاستيلاء على نابلى.

ولما أعلن "غاريبالدى" متابعته للزحف على الأملاك البابوية خشى كافور من مغبة فقدان عطف الكاثوليك فطلب من الامبراطور نابليون الثالث العون والمساعدة حتى يتم لقوات سردينيا التحرك داخل الأراضى البابوية بحجة القضاء على الشغب هناك فسمح له الامبراطور الفرنسى بذلك شريطة الانتهاء منه باقصى سرعة، وقد تم لكافور ما أراد، والتقى غاريبالدى بالقوات السردينية ورحب بها ووافق على المناداة بالملك " فيكتور عمانويل" ملكا على ايطاليا كلها، وبذلك انضم الجنوب إلى الشمال فى ظل حكم فيكتور عمانويل.

وهكذا نجح الايطاليون بفضل حنكة كافور من تحرير القسم الأكبر من بلادهم، ولكن بقيت روما والبندقية بعيدتين عن السيادة الايطالية فكانت البندقية تحت سيادة النمسا وروما تحت السيادة البابوية المحمية بقوات فرنسا.

---

[١] زينب راشد، المرجع السابق، ص ٣٥٥-٣٥٧.

ولما كان ضم البندقية وروما أمرا يتوقف على الموقف الدولى فى أوربا لأن ضم البندقية يلزمه ضرورة هزيمة النمسا فى أوربا، وضم روما يلزمه تغيير جذرى فى السياسة الفرنسية فقد نجحت ايطاليا فى ضم البندقية بعد تحالفها مع بروسيا ضد النمسا فى عام ١٨٦٦ وتقديم العون العسكرى لها فى نظير حصولها على البندقية فى حالة انتصارها على النمسا، ولما تحقق ذلك فى معركة "سادوا" نجحت ايطاليا فى ضم البندقية اما عن روما فانه بهزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية مع بروسيا فى عام ١٨٧٠ تم سحب الحامية الفرنسية من روما وبذلك اصبحت الفرصة المواتية لضمها واتخاذها عاصمة لايطاليا.

وقد كتب فكتور عمانويل إلى البابا يطالبه بالانضمام إلى الوحدة مع ابقاء سلطته داخل حدود الفاتيكان فعرض عليه " قانون الضمانات" الذى يتيح له الاحتفاظ بوضع خاص ولكنه لم يقبل، واعتبر نفسه سجينا فى الفاتيكان وحكم بالحرمان على كل من يساند السلطة الزمنة مما جعل ايطاليا تعانى مشكلة النزاع بين الحكومة والكنيسة، مما دفع عمانويل على الالتجاء إلى القوة، وفى ٢٠ سبتمبر استطاعت القوات الايطالية الوصول إلى روما، وبادر سكانها باعلان انضمامهم إلى حكومة "فكتور عمانويل" فى ٢ اكتوبر ١٨٧٠، وزالت بذلك اكبر عقبة فى طريق الوحدة التى كانت أساس الحركة الاستقلالية فى ايطاليا، وظل البابا على موقفه الرافض حتى عام ١٩٢٩ حيث تم عقد اتفاقية "لاتران" فى عهد الحكومة الفاشية والتى أعطت للبابا أرضا صغيرة داخل روما يكون له فيها السيادة، كما اعتبرت شخصه مقدس، وله الحق فى استقبال الغراء الاجانب والمراسلة بحرية مع اساقفه العالم، وان يكون له دخل مستوى.

وهكذا كان "لماتزينى" و"كافور" و"غاريبالدى" الدور المؤثر والفعال فى قيام " الوحدة الايطالية لدرجة قال عنها الزعيم الهندى "نهرو" لو تأخر احدهم عن الظهور فى حينه لربما تأخرت الوحدة بعض الوقت.

لقد نجح ماتزينى فى اضرام الحماس" الروحى لدى الايطاليين ونجح غاريبالدى فى قيادة المدافعين كما نجح كافور فى أذكاء الايمان السياسى فى ضلوع الايطاليين.

حقيقة لقد اختلف هؤلاء الثلاثة حول الطريق الموصل للوحدة والاستقلال فقد كان ماتزينى يحلم بدنيا جديدة فلم يقدم له كافور سوى الدنيا القديمة ذاتها فى شكل جديد، وكان غاريبالدى يحلم بنظام جمهورى فقدمت له الملكية فى ثوب قشيب، ومع ذلك فقد أوصلتهم وحدة الهدف إلى غايتهم المنشودة فتحقق لايطاليا وحدتها واستقلالها.

وعلى كل حال فان بزوغ هذا الكيان السياسى الجديد كان ينقصه العديد من مصادر القوة، فقد كانت ايطاليا فى ذلك الوقت تفتقر إلى المصادر الاقتصادية الكافية خصوصا من ناحية الثروة المعدنية مثل الفحم، وكذلك من ناحية الانتاج الزراعى الذى لم يكن يتناسب مع معدلات الزيادة السكانية فى ايطاليا.

وإلى جانب ذلك فانه علىالرغم من قيام الوحدة السياسية بين اجزاء ايطاليا فان سكانها لم يتمكنوا من اقامة وحدة قوية حقيقية وذلك بسبب الخلافات والتناقضات القومية بين العديد من القطاعات فى ايطاليا وقد أوضح ذلك أحد الزعماء السياسيين الايطاليين بقوله " بعد أن تمت وحدة ايطاليا بقى أن تتم وحدة الشعب الايطالى".

ونتيجة لكل ذلك قطعت ايطاليا شوطا طويلا فى اصلاح حالتها الاقتصادية، كما وسعت حركتها التجارية وبذلت جهودا كبيرة لاصلاح أسطولها التجارى ورغم كل ذلك فقد كان أمام ايطاليا شوطا طويلا فى مجال التقدم الاقتصادى كما ظلت المشكلة الاقتصادية من أخطر المشاكل التى تعاقبت الحكومات الايطالية على محاولة علاجها. يضاف إلى هذه قضية الصراع الحزبى فى ايطاليا وخصوصا بين الاتجاهات اليمينية والاتجاهات اليسارية. ولأول مرة منذ الوحدة الايطالية نجح اليسار الايطالى فى الحصول على أغلبية فى انتخابات عام ١٨٧٦م، ومنذ ذلك الوقت ولعشرين سنة تالية ظل اليسار باستثناء فترات بسيطة هو المسيطر على الحكم فى ايطاليا.

أما عن مصادر الدخل لايطاليا فانها كانت ترتكز على مصدرين أساسيين الأول وهو المهاجرون الايطاليون، فمئات الألوف من الايطاليين كانوا فى الخارج يرسلون إلى ذويهم المساعدات المالية والثانى كان السياحة من أوربا وأمريكا خاصة وأن ايطاليا كانت ومازالت مركزا سياحيا هاما بسبب آثارها الفنية ووجود الباباوية فيها، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر العجز فى ميزانية الحكومة الايطالية الامر الذى دفع ايطاليا إلى الخروج للمجال الاستعمارى وقد اتجهت المحاولة الأولى للتوسع نحو تونس، ولكن فرنسا اسرعت إلى احتلال تونس مما أثار حفيظة الايطاليين ضد فرنسا، وظلت العلاقات متوترة بين البلدين بعد هذا الحادث ما يقرب من عشرين عاما، وساد الاعتقاد بعد ذلك أن ايطاليا لم تتمكن من الحصول على مستعمرات إلا إذا ارتبطت بتحالف دولى قوى، وقد جر هذا التفكير ايطاليا إلى الاشتراك فى التحالف الثلاثى الالمانى النمسوى ونتيجة لفشل خطط ايطاليا التوسعية فى شمال أفريقية بدأت

تتحرك صوب شرق افريقية، فاستولت الشركة الايطالية البحرية على " عصب" فى عام ١٨٨٥، كما احتل الايطاليون "مصوع" وأسسوا مستعمرة الصومال وتحالفوا مع الأدريسى فى عصير، ثم حاولوا الاستيلاء على الحبشة، وعلى الرغم من هزيمة الجيش الايطالى من موقعة "دوجالى" إلا أن ايطاليا نجحت فى عقد معاهدة مع أحد زعماء القبائل الحبشية وهو " منيليك" لمساعدتها فى الوصول إلى عرش الحبشة، واطلق على هذه المعاهدة معاهدة "أوتشيالى" ولكن " منيليك" سرعان ما نقض المعاهدة بعد أن اتضح له ان النص الايطالى لها كان مخالفا للنص الحبشى ونتيجة لذلك أعلنت ايطاليا أنها تنوى فرض حمايتها على الحبشة، وفى عام ١٨٩٥ بدأت طلائع الجيوش الايطالية تزحف على الحبشة، ولكن فى أوائل ١٨٩٦ أصيبت الجيوش الايطالية بهزيمة ساحقة فى "عدوة"، وهى المعركة التى خسر فيها الايطاليون حوالى خمسة آلاف قتيل وأسر منهم حوالى الفين، واضطرت ايطاليا إلى أن تدفع للحبشة تعويضا ماليا وأن تعترف باستقلالها، مما كان له أكبر الاثر على الحياة السياسية فى ايطاليا وكان بمثابة المنبه الذى نبه جماعة الاستعماريين الايطاليين إلى الامكانيات الحقيقية للتوسع الاستعمارى الايطالى وحدد بالتالى مكانة ايطاليا فى العلاقات الدولية تلك العلاقات التى تحدد دورها ابان الحرب العالمية الأولى حيث أعلنت ايطاليا الحياد فى بادئ الأمر، ثم دخلت الحرب ضد النمسا - المجر وهذه الحرب ساعدتها على تحقيق تطلعاتها القومية فى الاردياتيك، كما حققت للقومية الايطالية تطلعاتها نحو الشمال والشمال الشرقى وأعطت لايطاليا مناطق مأهولة بقوميات غير ايطالية.